

أضواء البيان

@ 84 @ بِصُرْتُ بِمَا لَمْ يَدَّصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي . . .

وقوله في هذه الآية : { وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي } هو من بقية اعتذارهم الفاسد البارد ، وهو يدل على أن ذلك الاعتذار من الذين عبدوا العجل لا من غيرهم ، ولا يبعد معه احتمال أنه من غيرهم . لأنه ليس فيه ما يعين كون الاعتذار منهم تعيناً غير محتمل . ومعلوم أن هذا العذر عذر لا وجه له على كل حال . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { فَتَنَسَّى } أي نسي موسى إلهه هنا وذهب يطلبه في محل آخر . قاله ابن عباس في حديث الفتون . وهو قول مجاهد . وعن ابن عباس أيضاً من طريق عكرمة { فَتَنَسَّى } أي نسي أن يذكركم به . وعن ابن عباس أيضاً { فَتَنَسَّى } أي السامري ما كان عليه من الإسلام ، وصار كافراً بادعاء ألوهية العجل وعبادته . قوله تعالى : { أَفَلَا يَرْوُونَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً } . بين [] جل وعلا في هذه الآية الكريمة سخافة عقول الذين عبدوا العجل ، وكيف عبدوا ما لا يقدر على رد الجواب لمن سأله ، ولا يملك نفعاً لمن عبده ، ولا ضراً لمن عصاه . وهذا يدل على أن المعبود لا يمكن أن يكون عاجزاً عن النفع والضرر ورد الجواب . وقد بين هذا المعنى في غير هذا الموضع . كقوله في (الأعراف) في القصة بعينها : { أَلَمْ يَرْوُوا أَنَّا نُرْسِلُ آلَ يَكُودَ لَّهُمْ وَلَا يَكُودُ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُواْ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ } ولا شك أن من اتخذ من لا يكلمه ولا يهديه سبيلاً إلهاً أنه من أظلم الظالمين . ونظير ذلك قوله تعالى عن إبراهيم : { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً } ، وقوله تعالى عنه أيضاً : { قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُوهُمْ أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ } ، وقوله تعالى : { أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهِآ أَمْ لَهُمْ آيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهِآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهِآ أَمْ لَهُمْ ءِاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهِآ } وقوله تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ } إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } ، وقوله تعالى : { ذَلِكَ كُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ

سَمِعُوا ° مَا اسْتَجَابُوا ° لَكُمْ ° وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ °
وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ { . وقد قدمنا